سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ٦

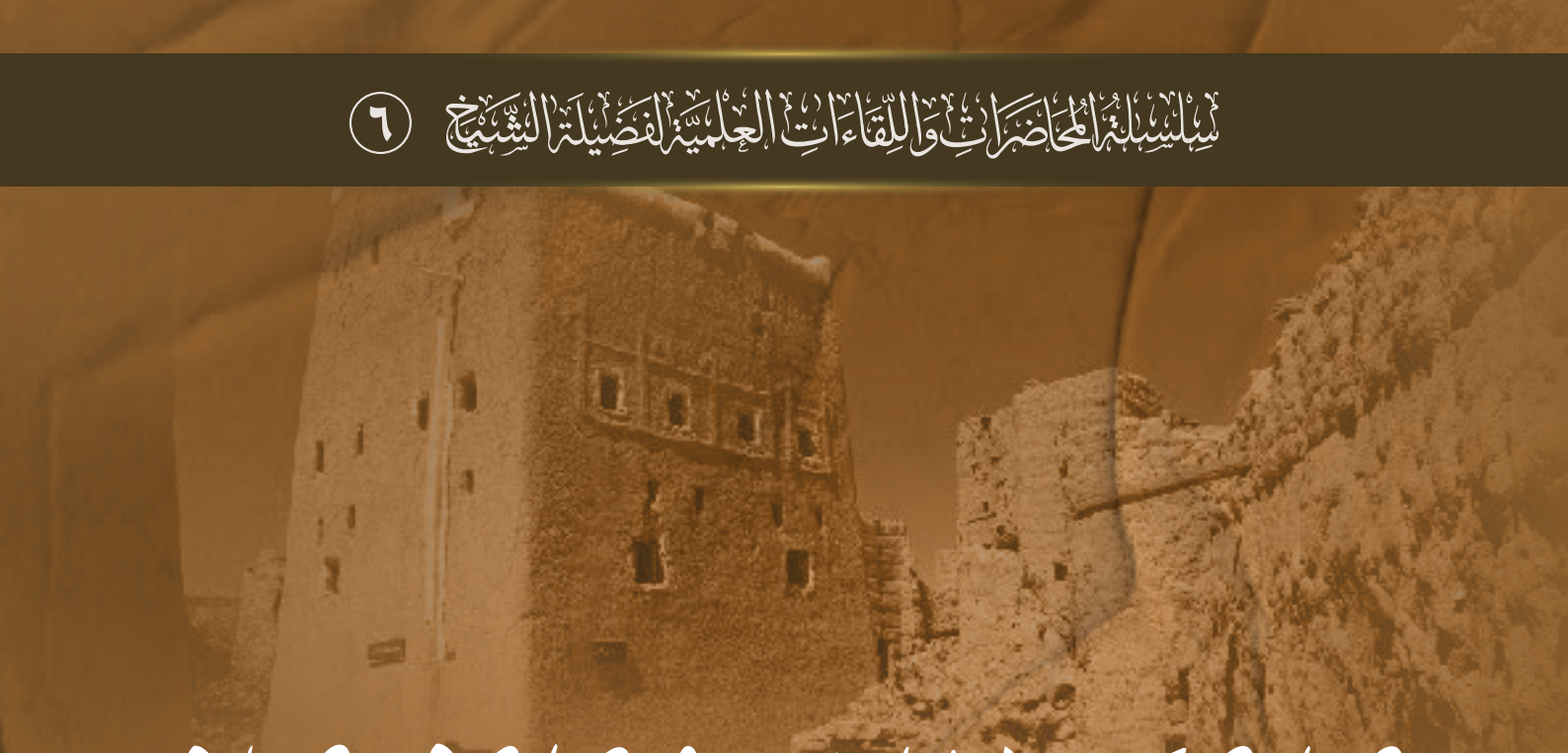

شبهات وردود

حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

العبيقري

شبهات وردود

حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

٦

شبهات وردود

حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

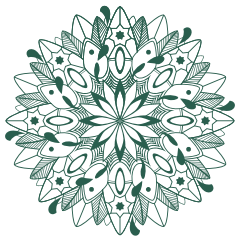

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

فلم يزل أهل الباطل يُثيرون الشبهات حول هذا الدين، ومن يحملونه من أهل العلم قديما وحديثًا، ومن أكثر من وُجهت له السهام المنوَّعة: الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه، وقع ذلك في وقته وبعد وقته، وزادت الهجمة على هذا الشيخ في السنوات الأخيرة، والمُلفت في الهجمة الأخيرة: هو اشتراك أناس ينتسبون إلى هذه الأمة جنبًا إلى جنب مع أعداء للأمة لا يُشكُّ في عِدائهم لهذا الدين، فأضرُّوا –والله– أنفسهم؛ إذ اصطفُّوا في هذا السبيل مع من لا يُعادون محمد بن عبد الوهاب فقط؛ بل مع من يُعادون محمد بن عبد الله سيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وموضوع الشبهات المثارة حول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ طويل؛ نظرًا لكثرة من يهاجمونه منذ أن جهرا بدعوته التي قاوم فيها الشركيَّات المنتشرة في وقته، والتي لا تزال موجودة إلى اليوم في عدد من البلدان، لكنَّ دعوة الشيخ قد أثَّرت تأثيرًا عظيما، فخفَّت شدة هذه المظاهر الشركيَّة بفضل الله ثم بفضل دعوته، وذلك يتضح لمن قارن حال هذه الشركيَّات في زمن الشيخ وبعد زمنه.

❁ **سنجعل الكلام في هذه الشبهات في قسمين اثنين -بإذن الله-، هما على النحو التالي:**

○ **القسم الأول: بين يدي هذا الموضوع: سنجعل بين يدي هذا الموضوع فقرتين:**

الفقرة الأولى: أنَّ مناقشة الشبهات المثارة حول أحد من أهل العلم يُراد بها بيان الحقيقة التي يُتقرب إلى الله بأيضًاحها، فهي مسألة يراد بها وجه الله لا شخص هذا العالم أو ذاك، فإنَّ العالم لا يمثِّل نفسه

حتى يكون الأمر متعلقًا بشخصه، بل العالم يحمل إرث النبوة الذي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»، رواه أبو داود وغيره، فهذا مما يجب أن يَستحضره كلُّ من ذَبَّ عن علماء الأمة؛ ليكون بذلك في جهاده يذبُّ عن الحق الذي بعث الله به نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتداءً.

الفقرة الثانية: هناك عبارة يرددها مثيرو الشبهات عند رؤيتهم من يدافع عن علماء الأمة، وهي قولهم: هؤلاء الذين تُدافعون عنهم غيرُ معصومين، فيُقال: إن أبعد الناس عن تزكية النفس هم العلماء الذين على السنة، فكيف يدَّعون العصمة، أو يرضَون أن تُدَّعى لهم؟ ولكنَّ هؤلاء العلماء الأخيار قد قاموا بأمانة العلم التي أوجب الله عليهم، فاجتهدوا في بيان التوحيد، والتحذير من الشرك، فنفع الله – تعالى- بهم أعظم النفع، فكان من حقهم على الأمة أن يُعرف لهم قدرُهم، ويُذبَّ عنهم ما يفتريه أهل الشبهات، فأمَّا أنتم أهلَ هذه الشبهات فلا نفع نفعتم به الأمة، ولا كفَفْتُم شرَّكم عنها، ومع كل ذلك فعندكم من تعظيم أنفسكم، وجزمكم بآرائكم، بل ومبالغتكم في التعصب لها؛ ما ينبغي أن يوجَّه لكم أنتم هذا السؤال: **هل أنتم المعصومون؟!**

- **القسم الثاني في ذكر الشبهات المتعلقة بالشيخ محمد بن عبد الوهاب تحديدًا:**

نَقْسِمُ الكلام في هذا القسم إلى الفقرات الآتية:

- **الفقرة الأولى: في أنواع الشبهات الموجَّهة للشيخ:**

يمكن قسمة هذه الشبهات إلى ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

- **أولًا:** ما كان كذبًا محضًا افتروه على الشيخ.
- **ثانيًا:** ما كان حقًّا، لكنه عينُ اعتقاد أهل السنة، قرَّره ابن عبد الوهاب، كما قرَّره من قبله من علماء الأمة، فنقدَهُ هؤلاء، فنقدُهم -في الحقيقة- ليس لابن عبد الوهاب؛ بل هو لمنهج أهل السنة والجماعة.
- **ثالثًا:** يأتي لاحقا بحول الله عَزَّوَجَلَّ.

وسنعطي أمثلة على كل قسم.

❍ **فأمَّا القسم الأول:** وهو الكذب المحض، فكان القصد منه التنفيرَ من كتب الشيخ، وايحاشَ الناس من مجرد الاطلاع على كتبه، وبعض ما كُذِب على الشيخ يدل على ما عند من افتروه من انعدام تقوى الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن الأكاذيب التي أشاعوها ونفَّرت الناس تنفيرًا شديدًا منه: ما ذكره الشيخ النعماني الهندي: من أن خصوم الشيخ نشروا عنه أنه قدم المدينة، وسكن بيتًا قرب المسجد النبوي ليتخذ نفقًا من البيت إلى قبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ ليتمكن من العبث بجسد نبي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، غير أن ملك المدينة رأى في المنام النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذكر له: أنَّ رجلًا اسمه: عبد الوهاب -هكذا يقولون- قَدِمَ من نجد لهذا الغرض، فقبض عليه الملِكُ، وضرب عنقه، بكل تفاهة قالوا هذا عن الشيخ.

قال النعماني: كان الناس يتناقلون هذه الأكذوبة في بلدي على أنها حقيقة تاريخية معلومة، ولم أكن أشكُّ في هذا، ومع أن النعماني هذا دُيُوبَنْدِيُّ العقيدة؛ إلا أنه كان يؤكد أن الأكاذيب على الشيخ محمد كانت شديدة، واشتركت فيها عدة أطراف.

ومن الأكاذيب قولهم: إنَّ ابن عبد الوهاب ينتقص النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنواع من الانتقاص، وهذا كسابقه: في أنَّ المراد به مجرد التشنيع على الشيخ، وتحذير الأمة من قراءة كتبه، والواقف على ما كان يتحدث به الشيخ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلم عِظَمَ قدر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنده، كما هو عند غيره من علماء الأمة، فهذا الذي نسبَهُ هؤلاء الخصوم مجرد فرية افتروها، لا يقولها -في الحقيقة- إلا من لا يتقي الله، الشيخ يتحدث عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأحسن الكلام؛ **فيقول -على سبيل المثال-:**

«هو أول شافع وأول مشفع، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، حبيب الله وصفيُّه من خلقه، سيد الشفعاء، صاحب المقام المحمود، آدم فمن دونه تحت لوائه، إمام المتقين السادة، أفضل من صدع بالحق، صاحب الأصل الماجد، أرسله الله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الناس أجمعين، سيد ولد عدنان، سيد الخلق أجمعين، أكرم نسَمة على الله، وأفضل مولود»، إلى غير ذلك من الأوصاف التي يصعب تتبعها.

وكان الشيخ محمد يخطب بهذا في خطب الجمعة، كما هو في الكتاب المعدِّ لجمع خطبه، ويعلم

الناس ذلك، ويلقِّنُهم إياه تلقينا، وهذه الأوصاف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منتشرة في كتبه لمن أراد الوقوف عليها.

ومن أعجب وأغرب وألطف ما عند هؤلاء الكذبة: موقفهم هم ممن سبَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو استهزأ به؛ فإنَّهم يصرِّحون -لأنَّهم من غلاة المرجئة- بأنَّ السبَّ والاستهزاء من حيث هما لا يُعدَّان كفرًا حتى يضامَّهُما اعتقاد القلب، كما هو مذهبهم القبيح في كل أقوال وأفعال الكفر والشرك، أمَّا الشيخ محمد -الذي اتَّهمُوه بهذا- فإنه يقرِّر بجلاء ما قرَّره أهل السنة: من أن من استهزأ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو سبَّه؛ فإنه يكفر كفرًا ظاهرًا باطنًا يخرج به من الملة، وصرَّح الشيخ بهذا في عدد من المواضع من كتبه، فَيَا لله العجب مَنِ الذي حفظ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جنابه، أهو الشيخ محمد، أم هؤلاء المرجئة الجفاة؟

لكن مِن عجيب أقدار الله -تعالى-، ولطيف ما قضى: أنَّ هذه الأكاذيب كانت من أكثر الأسباب لرجوع علماء ذمُّوا الشيخ في أول الأمر، ثم تراجعوا عن ذمِّهم؛ لأنَّهم حين عرفوا ما في كلام هؤلاء من الافتراء، ورجعوا لكتب الشيخ؛ تبينت لهم حقيقة دعوته، كما سيأتي بيانه في القسم الثالث -بإذن الله تعالى- من هذه الشبهات.

❍ **أما القسم الثاني من هذه الشبهات:** فهي الشبهات التي انتُقد فيها ابن عبد الوهاب؛ لأنَّه قرَّر عين ما قرره أهل السنة، وهو أنواع بحسَب اعتقاد المبتدع الذي خالف أهل السنة، فالذين نفَوا الصفات نقدُوه لأنَّه أثبتها، كما أثبتها أهل السنة، والذين يغلُون في القبور، ويشركون بأهلها نقدوه؛ لمَّا نهى الناس عن الغلو في القبور، وأوجب إفراد الله بالعبادة، وهذا اعتقاد أهل السنة.

والذين يقرِّرُون مقالة المرجئة في الإيمان نقدوه لمَّا قرَّر: أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، كما أجمع على ذلك أهل السنة، إلى غير ذلك من مسائل الاعتقاد المعروفة، فهذا النوع من الشبهات لن نتعرض له؛ لأنَّ خصوم ابن عبد الوهاب لم يردُّوا عليه في الحقيقة؛ بل ردُّوا على أهل السنة الذين اتفقوا على هذه المسائل منذ عهد الصحابة، ومن سلك على سبيلهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

❍ **القسم الثالث من الشبهات المثارة حول الشيخ:** تلك الشبهات التي كان يراد بها تصويرُ الشيخ بصورة من شذَّ عن جمهور علماء الأمة، وأتى بضلال ما سبقه إليه غيره، وأنَّ علماء عصره اتفقوا على

وصفه بأنه خارجي، لا يُعدُّ من أهل السنة أصلًا، وبعضهم وإن لم يصفه بذلك كله؛ إلا أنَّه انتقد على الشيخ أقوالًا زعم أنه لم يسبقه إليها أحدٌ، وسنورد لذلك -إن شاء الله- تعالى- أمثلة توضحه، وهذا القسم -بالذَّات- راجت شبهاتُه -للأسف- على بعض طلاب العلم ممن لم يحقِّق العلم العقدي ويحرِّره، ولذا سنتعرض لهذا القسم -بإذن الله- بشيء من التفصيل:

❍ **فمن أكثر شبهات خصوم الشيخ قولهم:** بأنَّ ابن عبد الوهاب خالفه علماء الأمة، وردُّوا عليه وضلَّلُوه، وادَّعى بعضهم أن العلماء أجمعوا على ذلك، والجواب على هذه الشبهة أن نقول ومن الله تعالى نستمد المعونة:أمَّا الاتفاق على تضليله فقد وقع من أهل الخرافات والتضليل والضلالات، ولا سيَّما من مروِّجي الشرك، وكتبهم طافحة بذلك، لا يتردَّدُون فيه، ويرون أنَّ من نهى عن سؤال الموتى الحاجات فهو كافر، ويعمِّمُون هذا، فينسبون أئمة كبارًا قبل ابن عبد الوهاب إلى الكفر، كما كفروا شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما من أئمة الإسلام، فالاتفاق على تضليل ابن عبد الوهاب وقع من هؤلاء الغلاة.

أمَّا علماء الأمة الذين كانوا على السنة فاتفقوا -بحمد الله- على الثناء على هذا الشيخ، وتسميته بالمجدد لمن دَرَس من معالم دين الإسلام، وأنا هنا لن أنقل كلام العلماء المشهور، بل سأنقل عن علماء ذمُّوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البداية لمَّا سمعوا الدعاية المغرضة، ودخلوا في جملة من حذر من الشيخ؛ لشناعة ما سمعوا عنه، لكنَّ هؤلاء العلماء الصادقين لمَّا وقفوا على كتب الشيخ، وما قرَّره فيها من الاعتقاد الحق؛ ندموا على موقفهم المتعجل من الشيخ، ثم كتبوا نظمًا ونثرًا في الثناء على الشيخ، وعلي ما قرَّره، وذكروا أن السبب في موقفهم الأول: هو أنَّهم بنوه على ما سمعوه من خصوم الشيخ الذين افتروا عليه، فلمَّا وقف هؤلاء العلماء على كتبه؛ غيَّروا موقفهم تغييرًا تامًّا، وذمُّوا من تسبَّبُوا في تشويه حقيقة ما يدعو إليه هذا الإمام.

❍ **وأعجب من ذلك:** أن في هؤلاء الذين رجعوا عن ذم الشيخ من كانوا من فرق ضالة متلبسين ببدعها، لكنَّهم لمَّا وقفوا على كتب الشيخ تأثَّروا بما وضَّحه فيها من معنى التوحيد، والتحذير من الشرك، فتركوا بدعهم حين وقفوا على تقرير الشيخ لتلك المسائل، وانتقلوا من فرقهم الضالة إلى مذهب أهل السنة الصافي من تلك البدع، وسنذكر -بإذن الله تعالى- من باب المثال فقط، لا من باب

الحصر، بعض هؤلاء العلماء:

❍ **فمن ذلك:** عالم جنوب الجزيرة؛ الشيخ: أحمد بن عبد القادر الحِفظي، المعاصر للشيخ محمد، فهذا الرجل من أعظم العلماء في وقته، قصده الطلاب من جميع الأقطار، وكان مع ذلك رأسَ الصوفية في زمنه، يَلبس ما يسميه الصوفية: الخِرقة، وله –أيضًا– ميلٌ إلى التشيع، فلمَّا وقف على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ ترك جميع ما كان عليه من التشيع والتصوف، وصار يدعو الناس في بلده وخارج بلده إلى إخلاص العبادة لله، وترك الشركيَّات، وأعلن ندمه على ما كان فيه في سالف عمره من التصوف والتشيُّع، واستخدم في ذلك شِعْرَه الرائع القوي؛ فمن ذلك قوله واصفا حاله حين سمع دعوة ابن عبد الوهاب:

وإنَّـــا ســـمعنا داعـــيَ الله معلنًـــا ... مـــن الأُفُـــقِ الأعلـــى تجلَّـــى لرائِيَـــهْ

فقلنـــا بحمـــد الله مثـــلَ مَقالِـــهِ ... جوابًـــا وحَوْقَلْنَـــا بعـــزمٍ وتَوْجِيَـــهْ

وَقُلنـــا لـــه أهـــلًا وســـهلًا ومرحبًـــا ... بمـــا أنـــت تُبديـــهِ وَمـــا أنـــت تُخْفِيَـــهْ

وَمـــا قلتَـــهُ حَـــقٌّ وصـــدقٌ وأنَّنَـــا ... نُقِـــرُّ بِمَـــا كَـــان منَّـــا وَنَقْلِيَـــهْ

نعـــوذ بـــك اللهـــمَّ مـــن شِـــركِ عـــالَمٍ ... وغفرانَـــكَ اللهـــمَّ مـــن جهـــل نَافِيَـــهْ

ولبَّيـــك شـــيخَ المســـلمين محمـــدًا ... وسَـــعديْكَ يـــا عبـــد العزيـــز ولبَّيَـــهْ

لقـــد أظهـــر الـــداعي رســـالةَ أحمـــدٍ ... وبعثتَـــه مـــن بعـــد طـــولِ تَناسِـــيَهْ

وأيقظنَـــا مـــن رقْـــدَةٍ طـــال ليلُهَـــا ... بِأرْغَـــبِ تَعْلِـــيمٍ وَأرهَـــبَ تنبِيَـــهْ

ورَدَّ إلـــى خيـــر القـــرون ســـلوكَنَا ... وحقَّـــقَ إســـلامًا وجـــدَّدَ بَالِيَـــهْ

ثمَّ إنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اجتهد كثيرًا في دعوة علماء بلده وعلماء اليمن إلى الالتحاق بدعوة الشيخ محمد، وقبول ما يدعو إليه من التوحيد، فقال مخاطبا علماء تلك الجهات:

أَلا أَبْلِغَـــا مـــا تســـمَعَا مـــن عَوَالِيَـــهْ ... وقـــولَا بإســـنادٍ ومـــتنٍ لِوَاعِيَـــهْ

صَـــفَا سَلْسَـــنَنْ أخبـــارَ نَجْـــدٍ أَوْ صَـــحِّحَا ... علـــيلًا فآيـــاتُ الكتـــاب تُعَافِيَـــهْ

وإِنْ جُزْتُمَـــا أهـــلَ المـــدارس فانشُـــرَا ... لمطـــــويِّ تبليـــــغٍ إلـــــيهم أُوَدِّيَـــــهْ

وقـــولَا لهـــم إنَّـــا ســـمعنا مناديًـــا ... ينـــادي إلـــى التوحيـــد أهـــلَ أراضِـــيَهْ

وينهـــى عـــن الشـــرك الكبيـــر بحجَّـــةٍ ... مـــن الله ركَّـــت مـــن ضـــلالِ الرَّوَاسِـــيَهْ

إلـــيكم جميـــعَ المســـلمين نصـــيحةً ... عَسَـــاهَا بـــإذن الله للسُّـــقْمِ شـــافِيَهْ

سَـــرَتْ مِـــنْ رُجَـــالٍ بلَّـــغ الله قصـــدَهَا ... إلـــى الـــيمن الميمـــونِ نُصْـــحًا لِأَهْلِيَـــهْ

وذكر في شعره –أيضًا– شدة انتشار الشرك في وقته، وأنَّ دعوة ابن عبد الوهاب التي كانت نهيًا عن الشرك وأمرًا بالتوحيد، هذا وضعها، فقال:

وينهـــى عـــن الشـــرك الـــذي طَـــمَّ بحـــرُهُ ... ويـــــأمر بالتوحيـــــد قـــــاصٍ ودَانِيَـــــا

فَيَـــا فرقَـــةً صَـــمَّتْ عـــن الحـــق مـــا الـــذي ... دعـــــاكم فأشـــــركتم مـــــع الله ثانيَـــــا.

❍ **ومن ذلك:** الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، وهو متولي مشيخة المذهب الحنفي في مصر، وكان معاصرًا لابن عبد الوهاب، وقد ظلَّ يدافع عن دعوة الشيخ حتى كان ذلك سببا في قتله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ليلة العشرين من رمضان، عام ألف ومئتين وسبع وثلاثين، على يد حاكم مصر: محمد علي.

وقد نقل الشيخ الجبرتي في تاريخه اعتقاد ابن عبد الوهاب، الذي أرسله إلى أهل المغرب، وفيه إنكاره للشرك المنتشر بسؤال الموتى الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله، والتقرب لهم بالذبح والنذر، وغير ذلك من العبادات، وأن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم، فلمَّا نقل الجبرتي الكتاب كاملًا قال: أقول: إن كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا، وهو خلاصة لُبابِ التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين.

وقد ظلَّ الجبرتي –كما قلنا– ينافح عن دعوة الشيخ حتى بعد موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويردُّ على ما يلقيه خصومه من الشبهات، إلى أن قُتل بسبب ذلك، عسى الله أن يجعله في الشهداء.

وكان الشيخ الجبرتي جريئًا في موقفه هذا، فقد كان معاصره في مصر: الشيخ الأزهري: أبو الهُدى الصعيدي جريئًا –أيضًا–، فإنَّه ناظر عددًا من علماء الدعوة من أصحاب الشيخ محمد بطلب من الحاكم

محمد علي، فلمَّا وقف على حقيقة هذه الدعوة قال بصريح العبارة: إن كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا؛ فنحن -أيضًا- وهَّابية.

❍ **وممن كان معاديًا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** أحد أشهر علماء الحديث في وقته، وهو: الشيخ الشريف المحدث: حسن بن خالد الحازمي، وكان الحازمي يعادي دعوة الشيخ في أول الأمر، ويرى -بحسب ما بلغه- أنَّ ابن عبد الوهاب وأصحابه من الخوارج، غير أنه بعد أن اطَّلع على كتب ابن عبد الوهاب تراجع عن موقفه، ورحل للدرعيَّة، والتقى علمائها وأثنى عليهم، أجاز حفيد ابن عبد الوهاب: الشيخ سليمان بن عبد الله بمروياته، وسماه بالإمام سليمان.

وقد اشتدَّ حماس الشيخ الحازمي لنشر ما يدعو إليه ابن عبد الوهاب من التوحيد، والتحذير من الشرك، وصنَّف في ذلك كتابه: «**قوت القلوب في توحيد علام الغيوب**»، وكتابًا في وجوب هدم المشاهد المبنية على القبور.

والواقف على كلام الشيخ الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يخفى عليه تأثره الشديد الواضح بتقريرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه.

ومن ذلك ما كان من العالم الأحسائي: حسين بن أبي بكر بن غنام، الذي سمع بدعوة الشيخ محمد، فارتحل إليه وتلقى عنه، وصار في خواصِّ أصحابه، وكان قبل ذلك على نفس اعتقاد كثيرين من أهل البدع والضلال، وقد وصف الشيخُ حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الناس في الجزيرة وخارجها، وذكر ما يوضح الانتشار الشديد للممارسات الشركيَّة، ولذا صار رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد المدافعين عن دعوة الشيخ شعرًا ونثرًا، وبعض الناس يظن هذا العالم كالعالم الجبرتي مجرد مؤرخَيْنِ؛ وهما من الفقهاء.

❍ **ومن ذلك: ما كان من العالم الحنبلي الأحسائي ذائع الصيت:** أحمد بن حسن العفالقِي، الذي تلقى تعليمه عن ألد خصوم ابن عبد الوهاب، وهو: محمد بن فيروز، الذي كان يصحح الممارسات التي يصنعها الغلاة عند القبور، وقد تأثر ابن عفالق بتقريرات شيخه هذا، إلا أنَّه حين قدم المدينة، ووقف على اعتقاد السلف الصالح؛ غيَّر موقفه تمامًا من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فصار يدرِّس كتب ابن عبد الوهاب في المدينة، ولمَّا هاجم جيش إبراهيم باشا المدينة، اتجه العفَالقِي إلى

الدِّرعيَّة مع أصحاب الشيخ، ولمَّا تمكَّن إبراهيم من تدمير الدرعيَّة وعذَّب علمائها؛ اشتد على العفالقِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعذيب، ورحَّله لمصر، فالتقاه علماء مصر، فثبت ثباتًا عظيمًا لرسوخه في العلم، فلمَّا رُؤِيَ كذلك جُعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفتي المذهب الحنبلي في مصر.

❍ **ومن العلماء الذين غيَّروا موقفهم من دعوة الشيخ بعد وقوفهم على حقيقتها:** الشيخ: علي باصابرين، فإنَّه في درسه بجامع الشافعي نال نيلًا فاحشًا من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان حاضرًا في الحلقة شيخان من تلاميذ الشيخ علي: وهما: الشيخ مساعد، والبسَّام، فلما انتهى الشيخ من درسه سألاه: يا شيخ؛ هل وقفت على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين نلتَ منه وقلتَ ما قلتَ؟ فقال: لا، لكن هذا مما عرفته من مشايخي، فقال: ما رأيُك أن تقرأ كتب الشيخ محمد؟ فقال: لا مانع، فأعطياه من كتبه؛ فلمَّا جاء بعد أسبوع، قال لطلابه: لقد نلتُ من الشيخ محمد بن عبد الوهاب إحسانًا للظن بمشايخي، وقد أطلعني اثنان من الطلاب على كتبه، وأنا أقول الآن: إنَّ ما دعا إليه هو الحق، ثم صنف الشيخ علي رسالة في التوحيد بعد ذلك.

❍ **ومن ذلك –أيضًا– موقف الشيخ القاضي محمد بن إبراهيم السِّناني:** فقد قال: كنت في أول الأمر مع أناس من جماعتنا نسمي كتاب: كشف الشبهات بجمع الشبهات، ولم أطالعه، ولم أرَهُ، فلمَّا سافرت لبعض الآفاق، ورأيت كثرة من أعرض عن الحق، عنَّ لي أن أطالع كشف الشبهات، فوجدته كاسمه مشتملًا على أجل المطالب، فكان جديرًا أن يُكتب بماء الذهب، فقلت عند ذلك:

لقد ضلَّ قومٌ سَمَّوْا الكشْفَ بالجَمْعِ ... وقالوا مقالًا واجِبَ الرَّدِّ والدَّفْعِ

فَجَمْعُ الشُّبَهْ مَا لَفَّقُوهُ بِبَغْيِهِمْ ... وَتضلِيلِهم مَا انهَدَّ مَا شِيد مِنْ نِدِّ

فقد حلَّ فيه كشفَ ما كان مشكِلًا ... بأوْضَحِ تِبْيَانٍ وَقَوْلٍ مُسَدَّدِ

إلى آخر قصيدته.

❍ **ومن هؤلاء العلماء –أيضًا– الشيخ:** حامد بن محمد بن حسن، من علماء القرن الثالث عشر، حجَّ عام ألف ومائتين وستة عشر، والتقى علماء من أصحاب الشيخ محمد، فتأثَّر بما قرَّرُوه في معنى التوحيد، وأنشأ منظومةً زادت على ألف بيت، جعلها في عدة أوزان، يذكر فيها ما كان عليه سابقا من

الوقوع في الشرك، ثم ما كان من رجوعه بعد أن وقف على تقريرات الشيخ محمد في التحذير من الشرك، فمن ذلك قوله:

فنحمدُ ربَّ الخلقِ مَنْ بيَّن الهُدَى ... بآياتِهِ فَضْلًا لَنَا كَيفَ يُجْحَدُ

وعنَّا أذْهَبَ الإشراك والكفر والشَّقَا ... فَمالِيَ لا أَدْعُو إِلَهِي أُمَجِّدُ

❍ ودعا لابن عبد الوهاب على دلالته إياه إلى الحق:

وَإِغْفِرْ لشيخِ الدِّينِ شَيْخٍ بِهِ الهُدى ... عَرفْنَا وَإِنَّا قَبلُ في الشِّرْكِ نَعْمَدُ.

ثمَّ إنَّ الشيخ شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقال فيه: أنَّ الله لمَّا من عليه بالهدى بعد الضلال، أراد أن يسلك مع السالكين في مسلك التوحيد، ويحدِّث بما أنعم الله عليه بعد ليالي الشرك والكفر، فشرح هذا الكتاب، وسمَّى الشيخ: بشيخ الإسلام، قامع البدع، محي السنة المحمدية.

❍ **ومن مشاهير العلماء الذين تأثروا بدعوة ابن عبد الوهاب:** الشيخ القاضي: محمد بن أحمد الحِفظي، كان ذا مكانة علمية كبيرة، حتى أقرَّ بمكانته خصومُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد اغتمُّوا كثيرًا حين ترك ما كان موغلًا فيه من التصوف والبدع، فقد وقف هذا الشيخ على كتب ابن عبد الوهاب، ونصر دعوته، وأبدى ندمَهُ على ما كان عليه في سالف حياته من البدع، ومما قال يصف حال الناس في وقته من جهة شدة انتشار الشرك فيهم، حتى بلغته دعوة الشيخ:

وتَرَى جُموعًا ليس يُحصَى عَدُّهُمْ ... مِنْ أهْلِ عِلْمٍ أَوْ مِنَ الجُهَّالِ

متظاهرين بشركهم في قولهم ... وفِعَالِهِمْ وفي الاعتقاد الغَالي

❍ ثم قال واصفًا الحال بعد دعوة الشيخ محمد:

حتَّى أتَانَا من مشارِقِ أرضِنَا ... نَبَأٌ عظيمٌ أمرُهُ مُتَوَالِي

داعٍ بأعلى الصَّوت يدعُو الناس للتْ ... توحيد والتفريد بالأعمال

❍ ثمَّ إنَّ الشيخ الحفظي قال واصفًا ندمَهُ على ما أسلف في عمره من الشرك والبدع:

والمـــرءُ يخجـــل إنْ تـــذكَّرَ مَـــا مَضَـــى ... وَيعَـــضُّ مِـــنْ نَـــدَمٍ عَلـــى الأَوْصَـــالِ

❍ وقال في منظومة له يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأثره في الناس:

وبعـــــث الله لنـــــا مجـــــدِّدَا ... مِـــن أرضِ نجـــدٍ عالمًـــا مجتهـــدَا.

شَـــيْخَ الهُـــدى محمَّـــدَ المحمَّـــدِي ... الحنبلـــيَّ الأثَـــريَّ الأحْمَـــدِي

فَقـــامَ والشِّـــرْكُ الصَّـــريحُ قَـــدْ سَـــرَى ... بَـــيْنَ الـــورى وقـــد طَغَـــى واعْتَكَـــرَا

دعـــــا إلـــــى الله وبالتَّهْليلـــــةْ ... يصـــــرخُ بـــــين أظْهُـــــرِ القِبيلـــــةْ

يعلِّـــم النَّـــاسَ مَعـــانِي أَشْـــهَدُ ... أن لا إلـــه غَيْـــرَ فَـــردٍ يُعبَـــدُ

❍ ونشط الشيخ الحفظي في دعوة علماء اليمن وجنوب الجزيرة للإقبال على دعوة الشيخ محمد، وشرح لهم مقاصد دعوته، ونفى ما يُشيعُه عنها خصومه، وقال في شعر رائق ماتع:

وَاسْتَشْـــهِدِ الأيَّـــام وانْظُـــرْ شَـــأْنَها ... وارقُـــبْ عَواقِـــبَ حالِهَـــا المتحَـــوِّلِ

والحـــقُّ أولَـــى أن يُجـــابَ وإنَّمـــا ... لـــمْ أدْرِ مَـــا حَيْلُولَـــةُ المتَحَيِّـــلِ

إلى آخرها.

وصنف الحفظي كتابا نافعا سماه: «**درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين**»، ذكر فيه شدة انتشار الشرك، حتى كادت تنطمس آثار الشريعة، قال: «**إلى أن بزغ قمر التجديد، وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فجلَّى الله به القَتَامَةَ**».

وختم الشيخ الحفظي كتابه بقوله عن كتابه هذا: «**وهذه النسخة المجموعة، والفوائد المسموعة، قطرة من مَطْرةٍ من سحائب الدعوة؛ يعني: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**».

❍ **ومن العلماء الذين تأثروا بدعوة ابن عبد الوهاب:** شيخ مكة الشهير: أبو بكر خُوقير، كان أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن دحلان خصم الدعوة اللَّدُود، لكنَّ الشيخ أبا بكر تراجع عن الأباطيل والبدع التي تلقاها عن شيخه هذا وعن أمثاله من خصوم دعوة الشيخ، وصنَّف الشيخ أبو بكر كتابه الشهير: «**فصل**

المقال وإرشاد الضال»، ردَّ فيه على دعاة الشرك والغلو، ونصر ما قرَّره الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التوحيد، ولذا تعرَّض رَحِمَهُ ٱللَّهُ للامتحان الشديد بسبب موقفه هذا، لكنه ثبت على ما وقع له من ذلك الامتحان.

وممن غيَّر موقفه من دعوة الشيخ بعد وقوفه على كتبه: الشيخ رشيد رضا الشامي، ثم المصري، قال في سبب تغيير موقفه: «**كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسائل دَحلان وأمثاله، فنصدِّقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا، ونصدِّق أنَّ الدولة العثمانية هي حامية الدين، ولأجله حاربَتْهم، وخَضَدت شوكتهم، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر، والاطلاع على «تاريخ الجبرتي»، و«تاريخ الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى»**، إلى قوله: «**ثم اطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله وفتاويه، وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم، ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد النهضة التجديدية، فرأيت أنه لم يصل إليهم اعتراضٌ، ولا طعن فيهم؛ إلا وأجابوا عنه، فما كان كذبا قالوا: سبحانك هذا بهتان عظيم، وما كان صحيحا، أو له أصلٌ بيَّنوا حقيقته وردوا عليه، وقد طُبعت أكثر كتبهم، وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات**».

وقد أثَّر الشيخ رشيد رضا في كثير من العلماء حيث عرَّفهم بحقيقة دعوة الشيخ محمد، وردَّ على خصومها، حتى قال الأستاذ: شكيب أرسلان -رحم الله الجميع-: بأن الشيخ رشيد رضا سبَّب انقلابًا في الرأي العام، ولذا قال له شيخ الأزهر -في ملأ من علماء الأزهر-: جزاك الله خيرًا بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية، انتهى؛ يعني: أنه وضَّح حقيقة دعوة ابن عبد الوهاب، وأنه على المنهج الحق، وشيخ الأزهر هذا هو أبو الفضل الجيزاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان الشيخ رشيد قد قال بأنه كان في مجلس هذا الشيخ، فأورد الإشاعات التي تدور حول ابن عبد الوهاب، وما يبثُّه خصومه عنه، فأهدى الشيخ رشيد رضا لشيخ الأزهر، ولطائفة من أشهر علماء الأزهر كتاب: «**الهدية السنية**»، الذي فيه توضيح ما يدعو إليه ابن عبد الوهاب، قال الشيخ رشيد: فراجع الكتاب شيخ الأزهر والعلماء، فاعترفوا بأن الذي في الكتاب هو عين مذهب أهل السنة والجماعة.

وممن كان يثني على ابن عبد الوهاب من علماء مصر: الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية في زمنه، نقل عنه تلميذه: حافظ وهبة، بأنه كان يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دروسه بالجامع الأزهر، ويلقبُه بالمصلح العظيم، ويُلقي تبعة وقف دعوته الإصلاحية على الأتراك، وحاكم مصر محمد علي، قال: لجهلهم ومسايرتهم لمن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيِّدي البدع والخرافات، ومجافاة حقائق الإسلام، وهذه الكلمات من علماء مصر كانت بعد اتِّضاح حقيقة دعوة الشيخ لهم، ولا سيَّما وقد التقَوا علماءَها الذين رُحِّلُوا إلى مصر، فتأثر عدد منهم بما عاينوه من الحقيقة التي أخفتها حملات شديدة على دعوة الشيخ.

❍ **ومن الذين غيَّروا موقفهم تغييرًا جذريا بسبب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**: الشيخ علي بن عبد الله بن صُوفان من علماء اليمن، وكان زيديًّا، فلما وقف على حقيقة دعوة الشيخ ترك مذهبه الزيدي، وانتقل لمذهب أهل السنة، وقال مبديًا ندمه على ما مضى في عمره في هذا السبيل، معلنًا اتباعه لدعوة الشيخ:

سـلامُ يمـلأُ الآفـاقَ مسـكًا ... علـى نَجْـدٍ أُحيِّـيكُمْ سَـلامَا
خَلَعْـتُ ديـنَ زيـديٍّ جِهـارًا ... وهـذا في الأصـول فَلَـنْ أُلامَـا
سأسـلكُ في العقيـدة ديـنَ شـيخٍ ... أقـام الـدِّينَ وَهَّـابِي أقَامَـا
وكنَّـا قبـل هـذا في ضـلالٍ ... مَـعَ البِـدْعِيِّ أَسْـهرنِي المَنَامَـا
إلـى الغفَّـار يغفـر لـي ذنـوبي ... ومـا أسـلفتُ في دهـري حرامَـا
ألَا يَـا لُـوَّمِي فَـدعُوا الملَامَـا ... لمـاذَا حيـثُ أهـديتُ السَّـلامَا
إلـى نهـجٍ هـداةِ النـاس طُـرًّا ... فقـد واليـتُهم قومًـا كرامَـا

❍ **ومن العلماء الذين غيروا نظرتهم للدعوة أيضًا**: الشيخ الجليل: محمد بن عبد الهادي العُجَيلي، صاحب كتاب: الظل الممدود، قال فيه: لم تزل الدعوة –يعني: دعوة الشيخ– تهرول في آفاق الأرض وتجري، وتُبكِرُ في جميع الأقطار وتسري، فلما انتهى ذلك النداء إلينا، لم يسعنا إلا الانتظام في سلك من دعا وأطاع، والاعتراف بأن ذلك هو الحق لا محالة، وأنَّ الذي نحن عليه عين الخطأ والضلالة.

❍ **ومنهم الشيخ القاضي:** أحمد بن عبد الخالق الحِفظي، وهو غير أحمد بن عبد القادر، فالشيخ هذا ابن عبد الخالق كان مفتيَ عَسِيرَ في زمن الدولة العثمانية، بل تولى الإفتاء في أدِرْنَة بتركيا، وكان من أكابر الصوفية، يعطي إجازات لطلابه في كتب التصوف، إلا أنه حين وقف على كتب ابن عبد الوهاب؛ ترك ما كان عليه من البدع، وقرأ كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب أربع مرات على شيخه: مسفر الحنبلي، ولمَّا نفاه الأتراك إلى بلده سمحوا له من بين جميع من نُفُوا بالتنقل داخل البلد؛ لعلمهم بمكانته الرفيعة، ولذا أقام دروسه هناك في تركيا، وتلقى عنه عدد من مشاهير الأتراك؛ منهم: وزير العدل، ولمَّا رجع الشيخ من منفاه، بادر بزيارة علماء الدعوة في نجد، وقال:

الله أكبـــــر هـــــذا أعظـــــم المـــــنَنِ ... أَنْ عُـدتُّ أَرْضِـي بُعَيْـدَ الأَسْـرِ والمحَـنِ

وزُرْتُ نجـــدًا دعـــاةَ الـــدِّين فيـــه هُـــمُ ... وُلاةُ أمـــرِي وأهـــلُ الفضْـــلِ والمـــنَنِ

❍ **ومن أشهر من تأثر بدعوة الشيخ:** الشيخ العلامة الكبير: محمد بن علي الشوكاني، العالم اليمني المعروف، كان هذا الشيخ أحد مشاهير الزيدية في بلده، وقد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فترك الزيدية وصار يدعو للاجتهاد، مما أغضب كثيرين من أهل مذهبه، وقد أثنى الشوكاني علي الشيخ محمد، وقال عنه: بأنه من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة، وقال عنه –أيضًا–: الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد، المنكر على المعتقدين في الأموات، ووصف كتب الشيخ محمد التي وصلته في اليمن؛ لأنها كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك، وهي رسائل جيدة، مشحونة بأدلة الكتاب والسنة.

ولمَّا وقف الشوكاني على ردِّ أصحاب الشيخ محمد على جماعة من فقهاء صَعْدَة باليمن في مسائل من أصول الدين، وصف الشوكاني ردَّ أصحاب ابن عبد الوهاب: بأنها أجوبة محرَّرة مقرَّرة محققة، تدل على أنه من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة، ووصف ردَّهم على أولئك: بأنهم قد هدموا على فقهاء صَعْدة جميع ما بَنَوْه، وأبطلوا كل ما دوَّنوه، انتهى كلامه مختصرا.

هذا الكلام يوضح التغيُّر الكبير الذي حصل للشوكاني بعد دعوة الشيخ، لأنَّ فقهاء صَعْدة هؤلاء كانوا من مذهبه الذي كان عليه سابقا، ثم نبذه وصار يدعو لتقديم دليل الكتاب والسنة؛ تأثرًا بدعوة الشيخ محمد.

وقد أرجع الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي شيخ الشافعية في الخليج سبب تغيير كثير من العلماء موقفهم من دعوة ابن عبد الوهاب؛ إلى كون الدعاية ضده في الماضي نالت رواجًا، لكنَّ وطأتها خفَّت لاحقًا، وعرف كثيرون في سائر الأقطار حقيقة دعوته وصحتها؛ بفضل انتشار العلم والوعي.

ولهذا قال الشيخ مسعود الندوي: من الممكن جدًّا لأي شخص أن يحمل آراء كاذبة عن الشيخ محمد بصدق نية وإخلاص، ولكن اليوم إذ انتشرت كتبه وكتب تلاميذه، وراجت فلا يقبل ذلك.

فالشيخان ابن حجر والنَدْوي يعيدان سبب تغيُّر النظرة لدعوة الشيخ إلى الفترة التي أعقبت وفاته، لكنَّ الحقيقة أن السبب الأقوى هو تأييد المعاصرين لابن عبد الوهاب لدعوته في وقته، وإفتاؤُهم من يسألهم عن ابن عبد الوهاب: بأن ابن عبد الوهاب على الحق، وذلك وقت اشتداد الحملة عليه في حياته، فكتاب التوحيد لابن عبد الوهاب –مثلا- أقرَّه عدد من مشاهير شيوخه؛ كشيخه الشامي: علي الداغستاني، وكذا الشيخ عبد الكريم الداغستاني، والشيخ محمد البرهاني، والشيخ عثمان الديَار بكري، وكتاب التوحيد فيه خلاصة دعوة ابن عبد الوهاب مقرونة بالأدلة عليها .

وكان العلماء الذين يقرُّون ما عليه ابن عبد الوهاب في حياته يعتذرون بأن السبب المانع لهم من الجهر بما جهر به ابن عبد الوهاب هو العجز، كما ذكر ذلك الشيخ الجِرَاعي، والشيخ السُّويديُّ وغيرهما، ولكن كلمات معاصري ابن عبد الوهاب وكتاباتهم كان لها تأثير كبير في تغيير النظرة عن الشيخ فيما بعد، وقد نبه ابن عبد الوهاب بنفسه على وجود هؤلاء العلماء المعاصرين لدعوته ممن أقرُّوا دعوته بقوله عند كلامه على خصومه الذين ناصبوه العِدَا، وذلك في رسالته للشيخ: فاضل آل مَزْيَد: أنَّ هذا الأمر الذي أنكروا عليَّ وأبغضوني، وعادَوْني من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني؛ لأجل أن الدولة ما يَرْضَوْني؛ يعني: الدولة العثمانية، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه، هذا كلام العلماء، وأظنه وصلك كلامهم، انتهى كلام الشيخ.

ونبَّه إلى ما نبَّه إليه الشيخ غير واحد بعده؛ فالشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن؛ حفيد الشيخ، حين ذكر ما يدعو إليه الشيخ قال: قد أطبق على الثناء عليه بمقامه هذا جميع أهل نجد والحجاز، وتهامة،

وعمان، وكثير من علماء الحرمين، ومصر، والعراق، والشام، حتى من أهل المغرب وبلاد الروم، ويقصدون في تلك الفترة ببلاد الروم: بلاد الأتراك، كلهم أو غالبُهم بين من يثني على صاحب هذه الدعوة ويدعو له، ومن ليس كذلك فلا يظهر منه إنكار.

وقال أيضًا: كثير منهم عاداه في أول هذه الدعوة ثم رجع واعترف؛ أي: بعد أن وقف على كتبه.

وذكر أيضًا: أن كتب الشيخ في التوحيد، وردوده على مخالفيه قد تلقاها العلماء بالقبول والتسليم لصحتها، فصارت تُباع بأغلى الأثمان في مصر والشام، وغيرها، قال: وهذا مما لا يجهله من عرفه.

وما ذكره الشيخ عبد اللطيف من مَيل بعض علماء الدولة العثمانية لدعوة ابن عبد الوهاب له دلائل عدة:

- **من أهمها:** أن مجلس شورى الدولة العثمانية -وهو أكبر مجلس في الدولة العثمانية- اجتمع عام ألف ومئتين وثمانية لتدارس ما رفعه ولاة مكة وبغداد والشام للسلطان العثماني من تحذيرات من دعوة ابن عبد الوهاب، وكان في المجلس عدد ممن تولوا القضاء في الحجاز، فذهب بعضهم إلى أن ما يقرِّره ابن عبد الوهاب ليس خطأً، وأنَّه لا يمكنهم أن يقولوا شيئا في رجل يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقل مثل ذلك في موقف العالم التركي، الذي تولى منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، فإنَّه حين كاتب ولاة مكة السلطان العثماني محذرين من ابن عبد الوهاب، قدَّم هذا الشيخ محضرًا يقول فيه: إنَّ شيخ نجد محمد بن عبد الوهاب رجل على المذهب الحنبلي، ومعلوم أنَّ الدولة العثمانية كانت تقرُّ المذهب الحنبلي ضمن المذاهب الأربعة داخلها، وكان خصوم ابن عبد الوهاب يصفونه دائما: بأنه خارجي له مذهب خامس خالف به المذاهب الأربعة، فقول هذا الذي تولى المنصب الديني الأعلى في الدولة العثمانية: بأنَّ ابن عبد الوهاب على المذهب الحنبلي؛ فيه مصادمة كبرى لما نشره خصومه عنه على نطاق واسع، والدليل على ذلك: أن هذا المحضر الذي قدمه للسلطان كان من ضمن الأسباب التي جعلت السلطان ينظر إلى شكاوى أولئك الولاة على أنها مبنيةٌ على الهوى، مما جعله لا ينهض لتلبية ما طلبه أولئك من القضاء على دعوة الشيخ.

❍ **ومن دلائل ميل علماء الدولة العثمانية أيضًا: ما ذكره المؤرخ العزَّاويُّ**: من أن الدولة العثمانية كانت تتخوف من تأثير دعوة ابن عبد الوهاب على بلاد العرب خارج منطقة نجد، ثم قال العزَّاوي بعد أن ذكر أنَّ ما كانت تخافه الدولة العثمانية قد تحقق فعلًا، والأعظم من هذا أنَّ من رجال الترك من نشر بعض الكتب في بيان أحقية دعوة ابن عبد الوهاب، وأنَّ إهماله، أو حربه كان منهم غفلة، وصاروا يدعون إليه، وعاشروا العرب في نجد، وعرفوا ما عندهم، ونشروا ذلك باللغة العربية والفارسية والأُرديَّة.

❍ **ولمَّا تكلم المؤرخ العزَّاوي عن حملة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصف القائمين عليها بأنهم اختلقُوا ما شاؤُوا، ونبذوا دعوته بما أرادوا قال:** وهذا لم يمنع الكثير من العلماء أن يناصروه، ويؤيدوه في الخفاء، وأن يتأثروا به في بغداد، وسائر الأنحاء العراقيَّة، وفي الأقطار الشامية والمصرية واليمنية وبلاد المغرب.

❍ **وقبل العزَّاوي، ذكر العلامة الشيخ الشريف محمد بن ناصر الحازمي:** أن دعوة ابن عبد الوهاب قد أقرَّ بصحتها علماء صنعاء، وزبيد، والحرمين، ومصر والشام والمغرب والعراق، ودارت مصنفاته بينهم، ونفَقَتْ عندهم، ومدحه منهم العلماء، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا، وهم المعوَّل في العلم والفهم.

❍ **وذكر الشيخ الحازمي أيضًا:** أن دعوة ابن عبد الوهاب قد استجاب لها كثير من الناس من غير قتال، ومثَّل على ذلك: بقبول عدد من البلدان النائية عن نجد لهذه الدعوة قناعةً من أهلها بها، ومن ضمن هذه البلدان: بلدان في جنوب الجزيرة، واليمن، وهي موطن الشيخ الحازمي.

وبالجملة؛ فإنَّ تأييد كثير من علماء البلدان لدعوة ابن عبد الوهاب مما يطول تتبُّعه، لكن مما يلفت النظر إقناع العلماء لبعض الولاة بصحة دعوة الشيخ؛ فمن ذلك: أن والي العراق من جهة العثمانيين: سليمان باشا الصغير قد قَبِل دعوة ابن عبد الوهاب بتأثير الشيخ السُّويديِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكنَّ هذا الوالي اتبع هذه الدعوة دون مجاهرة؛ لخوفه من الدولة العثمانية، كما ذكر ذلك العزَّاوي أيضًا، الذي ذكر: أن سبب انتشار دعوة ابن عبد الوهاب في العراق؛ وجود مذهب السلف الصالح في العراق قبل دعوة ابن عبد الوهاب.

❍ **ويوضح لك ما حصل من قبول العلماء لدعوة ابن عبد الوهاب:** أن نفس العلماء الذين كانوا

يشتكون من غربة الدين في زمنهم لمَّا رأوا آثار دعوة الشيخ حمدوا الله على منته بإقبال الناس على الدعوة، فالشيخ محمد الحِفظي الذي تقدمت منظومته قريبًا في شكواه من غربة الدين الواقعين في الشرك، قال بعد أن رأى آثار دعوة الشيخ

الحمـــــد لله علـــــى نعمائـــــه ... والشـــــكر لله علـــــى آلائـــــه

وإنَّ مـــــن أكبـــــر مـــــا أعطانـــــا ... ومـــــا بـــــه ســـــبحانه حبَانَـــــا

قبولُنَـــــا لـــــدعوة التوحيـــــد ... وتركُنَـــــا للشِّـــــرك والتَّنديـــــد

أخرجنـــــا مـــــن ظلمـــــة الضـــــلال ... وبـــــدَّل الحـــــرام بـــــالحلال

ومـــــنَّ بـــــالتعليم والحَثَاثَـــــة ... علـــــى أصـــــول ديننـــــا الثلاثـــــة

كتاب الشيخ

وغيرهـــــا مـــــن درر الفوائـــــد ... مثـــــل الـــــذي في الأربـــــع القواعـــــد

أيضًا من كتب الشيخ

وكـــــل عينـــــيَّ مـــــن العلـــــوم ... تســـــمعه يُـــــدرس كـــــلَّ يَـــــوْمِ

ويُســـــــمعُ الأذان بـــــــالإهلال ... في القَفْـــــرِ ومَشَـــــامِخِ الجبـــــال

وكـــــل مســـــجد يغـــــصُّ غصَّـــــا ... بالنـــــاس والصـــــفوفُ رصَّـــــا رصَّـــــا

مـــــا انقـــــادت الخلـــــق إلـــــى الشـــــريعة ... وتركـــــوا العوائـــــد الشـــــنيعة

وخمُـــــرُ النســـــاءِ فيهـــــا مُســـــبَلَة ... وبالجلاليـــــب غـــــدتْ مشـــــتملة

والبـــــدوُ والحضـــــرُ علـــــى منـــــوال ... في طلـــــب الحـــــق وفي الســـــؤال

وحلقـــــاتُ الـــــذاكرين عـــــامرة ... وجلســـــاتُ الجـــــاهلين ضَـــــامرة.

❍ **وذكر الشيخ العُوَيْلِيُّ اليمني:** أن أكثر بلده طائعين لكتب ابن عبد الوهاب وما أمر به، وقال الشيخان الشريفان يحيى بن درع، ومحمد بن يحيى، في رسالتهما لآل الحِفظي: لا والله لا نعلم أن طائفة تدعو إلى التوحيد إلا هذه الطائفة، وهذا من فضل الله علينا، فكل ما تقدَّم جواب على الشبهة الأولى،

لهؤلاء الذين زعموا أن ابن عبد الوهاب قد خالف العلماء، وأنَّهم ردُّوا عليه، وحكموا بأنه ضال، فجوابه كما سمعت: أن الذين قالوا هذا هم شيوخ الضلال، من مروِّجي الشرك والبدع، فأمَّا العلماء على السنة فقد حكموا بأن دعوة ابن عبد الوهاب دعوة حق نشرت التوحيد وطمست الشرك.

وأكثر العلماء الذين ذكرت كلامهم مما يجهل مواقفهم بعض طلاب العلم، فلِذا ركَّزت على إبراز كلامهم تحديدًا، أمَّا العلماء الذين أثنوا على دعوة الشيخ منذ بدايتها، فهم أكثر بكثير، وهم -أيضًا- قد اشتهر كلامهم في الثناء على دعوة الشيخ، فلا يخفى غالبا على طلاب العلم، وبذلك ينتهي الرد على الشبهة الأولى في هذا القسم.

❍ **من الشبهات التي أثاروها عن الشيخ:** أنه قال كلاما لم يسبقه أحد إليه، ومثَّلوا له بقوله: بأن شرك المشركين في زماننا أغلظ من شرك أهل الجاهلية، وقد أجلب كثيرون على الشيخ بهذه الكلمة، ورأوا أنه بالغ؛ كيف يكون من شهد الشهادتين كأهل الجاهلية؟ فضلًا عن أن يكون أغلظ شركا منهم؟

واستعمل كثير من هؤلاء وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام ليقدحوا بهذه الكلمة في الشيخ؛ ليُظهروا أن الشيخ انفرد بهذه الكلمة، **ونحن نجيبهم بالآتي:**

هذا التقرير مما ذكره العلماء قبل الشيخ بقرون متطاولة، فنذكر عبارات من قالوا ذلك قبل الشيخ، وعبارات من قالوا ذلك من معاصريه، فمن ذلك: ما كان من علماء الأمة السابقين:

❍ **فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام:** من قال القرآن مخلوق؛ فهو شرٌّ ممن قال: إن الله ثالث ثلاثة، والذين قالوا: إن القرآن مخلوق يعني: بهم الجهمية والمعتزلة، وهم يقولون: لا إله إلا الله.

❍ **وقال ابن خزيمة:** المعطِّلة الجهمية شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس.

❍ **وقال الطبراني:** من قال: إنَّ القرآن مخلوق فهو شر من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان.

❍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** كان السلف وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود، كما قال عبد الله بن المبارك، والبخاري وغيرهما.

❍ **وقال شيخ الإسلام -أيضًا-:** قال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفر من اليهود والنصارى، فهذا

بعض كلام المتقدمين في هؤلاء، مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فأمَّا معاصرو ابن عبد الوهاب الذين قالوا في المشركين الذين عاصروهم، فننقل عنهم بعضه:

❍ **من ذلك: قول عدد من أهل العلم معاصري الشيخ في الغلاة الذين يصرفون العبادة للقبور:**

❍ **يقول الشوكاني في هؤلاء الغلاة في القبور:** لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، ثم قال: قد بلغ شركهم فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، ثم ذكر أن الغلاة رجعوا للجاهلية الأولى؛ بل إلى ما هو أشد، كما ذكر أن المشركين الأوائل يخلصون عند الشدة، أما هؤلاء فيشركون حتى في الشدائد.

❍ **ومن ذلك قول الصنعاني:** بأنَّ الغلاة المتأخرين قد اعتقدوا ما اعتقده المشركون الأوائل في الأوثان، ثم ذكر أن المتأخرين ساوَوْهم، ثم قال: بل زادوا، كما ذكر: أن ما وقع من هؤلاء الغلاة من المنكرات مما لم يبلغه المشركون الأوائل.

❍ **ومن ذلك قول الشريف النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين نقل نماذج من غلو المتأخرين، الذين وصل ببعضهم الأمر إلى أن يطلبوا من الموتى أن يعيذوهم من النار والعياذ بالله، فقال النعمي:** إن المشركين الأوائل لا يؤهِّلون كل ما عبدوه من دون الله لشيء من هذا، ولا لما هو أقل منه.

❍ **ومن ذلك –أيضًا– قول الشيخ صُنعِ الله الحلبي المكي الحنفي عن ممارسات الغلاة في القبور، مقارنا بينهم وبين أهل الجاهلية:** كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، ووصف ظنَّهم بأنَّ الأولياء يجلبون النفع ويدفعون الضر من باب الكرامة، بظن أهل الأوثان.

❍ **ومن ذلك قول الشيخ علي السُّويدي عالم العراق:** بأنَّ الجاهلية الأولى لو رجعت لعجزت عن أقل القليل مما يفعله الغلاة.

❍ **ومن ذلك قول ولي الله الدهلوي:** بأنَّ مثل ما يصنعه هؤلاء بالقبور، مثل من كان يعبد المصنوعات، أو يدعو اللات والعزى.

❍ **ومن ذلك قول الشيخ إسماعيل الدهلوي:** بأنَّ عبَّاد الأوثان في الهند ما سلكوا طريقا إلا وسلكه الأدعياء من المسلمين، وذكر أنَّ من عامل أحدًا بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقرُّ بأنه مخلوق

وعبْدٌ؛ فهو وأبو جهل في الشرك سواء.

❍ **ومن ذلك: أن شهاب الدين الألوسي العراقي في تفسيره، لما ذكر أن المشركين الأوائل لا يدعون إلا الله في حال الشدة:** ذكر أن الغلاة إذا اعتراهم الخطب الجسيم دعوا الأولياء، **ثم قال مقارنا بين الفريقين:** فبالله عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلًا؟

❍ **وذكر أيضًا:** أن الغلاة يهشُّون لذكر أموات يستغيثون بهم، وينقبضون من ذكر الله وحده، كما ذكر الله عن المشركين الأوائل: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [الزمر:٤٥]، ونقل قول بعضهم: الولي أسرع إجابة من الله، نعوذ بالله.

❍ **ومن ذلك قول الشريف حسن بن خالد الحازمي، لما ذكر ما يقع من الغلاة في زمنه:** حتى أربَوْا؛ يعني: حتى زادوا في هذا الزمان على عباد الأصنام في زمان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

❍ **وقال نحوا منه:** الشيخ الشريف محمد بن ناصر الحازمي.

❍ **وقال ابن مشرف شعرًا:**

فـــزادُوا علـــى شـــرك الأوائـــل إذْ دَعَـــوا ... سِـــوَى الله في حـــال الرخـــاءِ وفي العُسْـــرِ

❍ **وقال الشيخ صديق حسن خان عالم الهند:** بأن كفر المشركين في هذه الأمة الواقع في عربهم وعجمهم؛ أعظم من كفر الذين قاتلهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الجاهلية.

❍ **وكلام العلماء الذين قالوا هذا كثير؛ منهم:** شيخ الأزهر: عبد الرحمن قُرَّاعة، كذلك شيخ الأزهر بعده: عبد المجيد سَليم، قالوا: نفس العبارات، وقد سبرتُ أقوالًا زادت على ثلاثين من أهل العلم كلهم قالوا كلمة الشيخ هذه، فعبارات من قبل الشيخ، وعبارات من عاصروه، وعبارات من بعده، تؤكد على نفس كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن كان هؤلاء المهاجمون لمحمد بن عبد الوهاب صادقين؛ فليُعَمِّمُوا اتهامهم لجميع من قال ذلك، سواء من العلماء المتقدمين، أو المعاصرين للشيخ، فأمَّا أن يخص المغرضون الشيخ بهذا دون غيره؛ فذلك تحكُّم أهل الباطل والعناد.

❍ **ومن أكثر العبارات التي أجلبوا بها على الشيخ قوله:** بأن من قال من علماء العارض بأنه قد عرف معنى كلمة التوحيد فقد كذب، ولقد صاح بهذه الكلمة كثيرون، واستخدموا وسائل الإعلام، وظنوا أن الشيخ لم يسبقه إلى هذه الكلمة أحد، والواقع أن كلام العلماء في هذا كثير جدًّا قبل دعوة الشيخ، لمن فهم الأمر وأبعد عن التعصب، فالشيخ محمد يتكلم عن تفسير الناس في العارض لكلمة التوحيد بتفسير المتكلمين الباطل، حيث زعموا: أن معنى لا إله إلا الله: الإقرار بربوبية الله، ودلَّلوا على تقريرهم بدليل المعتزلة الذي سمَّوه: دليل الحدوث، يذكرون فيه الجوهر والعرَض، وغير ذلك من عبارات المتكلمين، فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أنتم لم تعرفوا معنى كلمة التوحيد، وقد ردَّ علماء السنة على المتكلمين قولهم هذا، وأنهم لم يفهموا حقيقة دعوة المرسلين التي بُعثوا بها، ولا معنى كلمة التوحيد، ردُّوا على المتكلمين بهذا قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقرون، وقالوا للمتكلمين من المعتزلة وأضرابهم: أنتم لم تعرفوا حقيقة التوحيد، فالشيخ قال هذا الكلام في المتكلمين في منطقته في نجد، حين كانوا يفسرون كلمة التوحيد بنفس تفسير المتكلمين، ولهذا قال هذه الكلمة التي قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام بنصها في درء التعارض، فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد بيانه أن التفسير الصحيح لكلمة التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، قال عمَّن فسرها من المتكلمين بأنها تعني إثبات الربوبية: لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله رسوله، فإني مشركي العرب كانوا مقرِّين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، نصُّ كلام ابن عبد الوهاب تماما، فابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يقل كلمة مشكلة يُحتاج إلى أن يُجاب عنها، أو أن يُهاجم بها، كما هاجمه من هاجمه من المتأخرين، بل قال كلمة قالها العلماء قبله.

وقد قال الإمام الكبير ابن سريج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مبينا فرق ما بين توحيد أهل الحق، وما بين توحيد المتكلمين: توحيد أهل العلم، وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بُعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإنكار ذلك، فجعل توحيدهم مقابلًا لتوحيد المسلمين، وسمَّاه: توحيد أهل الباطل؛ لأنَّه لا يقرر إلا توحيد الربوبية، فما الفرق بين كلام ابن سريج، وبين كلام الشيخ محمد، وبين كلام شيخ الإسلام؟

وكما وصف ابن سريج توحيد المتكلمين بهذا، فقد قال الحافظ البغدادي، وقال ابن القيم في توحيدهم: بأنه إلحاد لا توحيد، ومرادهم بالإلحاد هنا، ومراد المتقدمين بهذه الكلمة، مرادهم بها: الميل عن الحق، وقال السمعاني -لما ذكر ما يسميه هؤلاء بالتوحيد-: تَعَسًا لتوحيد أوردهم هذه المتألف، وتسائل كيف يدعو مسلم إلى هذا الطريق المظلم؟

❍ **وقال الدارمي عن توحيدهم:** بأنه تخليط وخرافات، إن لم يوحِّد الله إلا من قام بها؛ فما في أمة محمد موحِّد.

وقد كان الإمامان أبا حنيفة ومالكًا رحمهما الله يلعنان رأس المعتزلة عمرو بن عبيد؛ لأنه أول من فتح على هذه الأمة الضلالات في حقيقة التوحيد، لمن صرف معه من وقعوا في بدعة الكلام عن حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قال الإمام الشافعي في رأس آخر للمعتزلة؛ هو ابن علية: أنا مخالف له في كل شيء، ومخالف له في لا إله إلا الله، وذلك لما عنده من الضلال العقدي، فجهلُ المتكلمين بحقيقة التوحيد هو الذي استدعى قوة العلماء في إنكار هذا المعنى المبتدع، فجاء ابن عبد الوهاب بعد العلماء بقرون فسلك على مسلك أهل العلم قبله في إنكار ما أنكروه على من ابتدعوا في معنى التوحيد ما لا أصل له، فضجَّ خصومه، ورموه بأشر العبارات، مع أن علماء الأمة -كما نقلنا كلامهم- قد سبقوا ابن عبد الوهاب إلى ذلك.

واعلم أن الكلمات التي توافق كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرة جدًّا، ولكني أقتصر ببعضها عن بعض، وإلا فما ذكرته بعضٌ من كلام علماء الأمة رحمهم الله، به تعلم أن هؤلاء الذين حملوا على الشيخ في هذه الكلمات إنَّما حملوا على عموم العلماء الذين قالوا هذا من حيث لا يشعرون.

وبكل حال فالشيخ محمد عالم من علماء المسلمين، الذين أحيا الله بهم السنة، وانتشرت بدعوته حقيقة التوحيد، والشبهات التي يريدها المغرضون عنه يمكن الجواب عليها -بحمد الله- كما رأيت، لكن هؤلاء يستخدمون الإعلام، ووسائل التواصل؛ ليصلوا إلى العوام الذين لا قدرة لهم على الجواب على أباطيلهم، لذا قلدهم في هذا السبيل -للأسف- عدد من أبنائنا اليوم، وردَّدُوا نفس شبهاتهم التي إذا تأملها المنصف وجدها تعم علماء الأمة قبل ابن عبد الوهاب، لكن لجبنهم -أعني: أصحاب هذه

الشبهات-، وقلة تقواهم، صوَّروا الشيخ محمدًا بأنه انفرد عن الأمة بما قرره، وخالف ما سمَّوه: السواد الأعظم، وكذبوا والله؛ فقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جادة علماء السنة، وإنما خالف شيوخ الضلال من دعاة الغلو في الموتى، وغلاة المرجئة وأضرابهم، نسأل الله -تعالى- أن يجزي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الجزاء، وأن يورثه الفردوس بلا حساب ولا عذاب، والكلام في الحقيقة في الشبهات التي حول الشيخ يطول جدًّا، لكن أردنا أن نركِّز على شيء منها مما حاول خصوم الشيخ أن يصوِّرُوا الشيخ -كما قلنا-: بأنه مجرد مبتدع خالف أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: كذا وكذا مما لا أصل له، فوجدت أن العلماء قبله بالعشرات يقررون ما قرَّر -رحمة الله تعالى عليه-.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ألقيت هذه المحاضرة في ليلة الثلاثين
من شهر جمادى الأولى سنة أربعة وأربعين وأربع مئة وألف
في جامع سعيد بن زيد، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.